الفصل الرابع: التعريف بالمؤلف وكتابه ومنهجه في عرض سورة البقرة وتفسيرها

المبحث الأول: ترجمة ابن عاشور رحمه الله

اسم ابن عاشور ونسبه: هو مُحَمَّد الطَّاهِر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطَّاهِر بن محمد بن محمد الشاذلي ابن عبد القادر ابن عاشور التّونسِيّ، رئيس المفتيين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، وأحد أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. [٨٣]

أسرته:

ينتمي ابن عاشور إلى أسرة عريقة علماً ونسباً فقد جمعت بين الحسنيين شرف النسب وشرف العلم فهم يرجعون بنسبهم إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، وبالتالي فهم ينتمون إلى البيت الطاهر الشريف بيت الرسول ﷺ، وأسرة آل عاشور يعود أصلها الأول إلى محمد بن عاشور، والذي ولد بمدينة سلا بالمغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فاراً بدينه من القهر والتنصير، وقد توفي سنة ١١١٠هـ، وقد برز في هذه الأسرة شخصية علمية صار لها شأن غير قليل وهو جد مترجمنا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (الجد) ولد سنة ١٢٣٠هـ والذي تقلد مناصب هامة كالقضاء، والإفتاء، والتدريس، والإشراف على الأوقاف الخيرية والنظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى، وقد تتلمذ على يده الكثير أمثال الشيخ محمد العزيز بوعتور، والشيخ يوسف جعيط، الذين أصبحوا بعد ذلك من شيوخ الزيتونة وعلمائها، وقد تتلمذ

---

[٨٣] الغالي، بلقاسم. ١٩٦٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. بيروت: دار بن الحزم. ص. ٣٥.

وابن الخوجة، محمد الحبيب. ٢٠٠٨. *شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور*. تونس : الدار العربية للكتاب. ص.١٤٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليهم محمد الطاهر بن عاشور فكانت صلتهم به قوية. ومن سلالة آل عاشور البارزين أيضا والده الشيخ محمد بن عاشور، وهو وإن لم تكن له آثار علمية إلا أنه قد برز في ميدان المسؤوليات الوظيفية، وهكذا تداعمت أواصر هذه العائلة العاشورية. [٨٤]

مولده:

بشرت العائلة العاشورية بولادة محمد الطاهر بالمرسى وهي ضاحية جميلة من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وكانت ولادته سنة ١٢٩٦هـ -١٨٧٩م بقصر جده للأم الصدر الأعظم محمد العزيز بوعتور، وفي أحضان هذه العائلة نشأ، وشب بين أحضان والد يأمل فيه أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ، والعبقرية وفي رعاية جده الوزير الذي حرص على أن يكون خليفة في العلم، والسلطان والجاه. [٨٥]

نشأة ابن عاشور العلمية:

لما يفع ابن عاشور اتجه كأبناء جيله إلى حفظ القرآن الكريم فقرأه على المقرىء محمد الخياري بمسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس، ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية التي تهيئ الطالب إلى التعليم بجامع الزيتونة كمتن ابن عاشر والآجرومية وغيرهما، وتلقى الشيخ المبادئ الأولى في قواعد اللغة العربية على الشيخ أحمد بن بدر الكافي اعتمادا على شرح سيدي خالد الأزهري. [٨٦]

---

٨٤ الغالي. ١٩٩٦. من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور. ص. ٣٧.

٨٥ المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

٨٦ابن الخوجة. ٢٠٠٨. *شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ١٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

انتساب ابن عاشور إلى جامعة الزيتونة:

عندما بلغ الشيخ أربعة عشر عاما التحق بجامع الزيتونة الأعظم ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٣م. وبتوجيه من والده وجده لأمه وأساتذته شرع يجتهد في تحصيل العلم والمعرفة عن حب ورغبة، ومن أبرز ما تميز به أنه لم يكن متلقيا فقط بل كان ينتقد ما يتلقاه بالنقد الحصيف المتمرس حتى صقلت ملكته، وكان من أهم ما درسه ابن عاشور بهذا الجامع علم النحو: حيث قرأ سيدي خالد، وقطر الندى، والمقدمة، والمكودي، ولامية الأفعال، والأشموني، والمغني بشرح السيد، و وعلم البلاغة: حيث قرأ الدمنهوري على السمرقندية، والتلخيص بشرح المطول للسعد، والمفتاح للسكاكي بشرح السيد، واللغة، ودرس المزهر للسيوطي، والحماسة بشرح المرزوقي، والمثل السائر لابن الأثير، وفي علم الكلام: درس العقائد النسفية لعمر بن محمد النسفي، والمواقف في علم الكلام، وفي المنطق: درس السلَّم في المنطق لعبد الرحمن محمد الصغير، والتهذيب لسعد الدين التفتازاني، وكذا درس علوم الفقه وأصول الفقه والفرائض وعلم الحديث والسيرة، ففي أصول الفقه درس شرح الحطاب على ورقات إمام الحرمين، وتنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي، وشرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي وهكذا، فالمتأمل في ثقافة شيخ الإسلام محمد ابن عاشور، ومن خلال مؤلفاته يلحظ وجود ثقافة شرعية ولغوية وفلسفية وإلماما بشتى العلوم التي تضمنها القرآن الكريم مثل أخبار الأمم والأنبياء وتهذيب الأخلاق، وأصناف التشريع، وأنواع الفلسفات، وقد تأصلت هذه العوامل الثقافية في نفسه فكان على اطلاع واسع، وحفظ جيد، وفهم ذو عمق وغوص على الحقائق، والدقائق، وقد دامت دراسته بجامع الزيتونة سبع سنوات انتهت بإحرازه على شهادة التطويع سنة ١٣١٧هـ ١٨٩٩م.[٨٧]

---

٨٧ الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ٣٨. وابن الخوجة. ٢٠٠٨. *شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ١٤٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

شيوخه:

تتلمذ الشيخ ابن عاشور على نخبة من العلماء في عصره أذكر منهم:

١- جده لأمه الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور، ويتصل نسبه بالشيخ عبد الكافي القريشي دفين صفاقس الذي جاء في التاريخ أنه من ذرية الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد ولد صاحب هذه الترجمة سنة ١٢٤٠هـ ، ونشأ تحت رعاية والده الشيخ محمد فلقنه القرآن الكريم والتحق بطلاب العلم في جامع الزيتونة ١٢٥٤هـ، فتلقى عن كثير من الشيوخ ابرزهم إبراهيم الرياحي، وابنه محمد الطيب، والشيخ محمد نجيب الخوجة، وغيرهم .كما أخذ عن المحدث الشيخ محمد الصالح الرضوي السمرقندي، وعُين وزيرا استشاريا سنة ١٢٩٠هـ ثم تولى الوزارة الكبرى بعد مصطفى ابن اسماعيل وبعد انتصاب نظام الحماية على تونس سنة ١٣٠٠هـ واستمر في منصبه الخطير حتى وفاته سنة ١٣٢٥هـ -١٩٠٧م. ٨٨

٢- عمر ابن الشيخ (١٢٣٩هـ-١٣٢٩م) هو عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي ابن قاسم المعروف بابن الشيخ أو سيدي عمر كما يسمى اختصارا وتمجيدا. ولد بقرية يقال لها "المتلين"، من أعمال، وتلقي العلم على كبار الأساتذة مثل الشيخ محمد بن مصطفى البارودي، والشيخ محمد الخضار، والشيخ الشاذلي بن صالح وغيرهم من العلماء الأجلاء، وجلس الأستاذ للتدريس بجامع الزيتونة الأعظم ١٢٦٦هـ وصار مدرساً من الطبقة الثانية سنة ١٢٦٨هـ، ومن الطبقة الأولى سنة ١٢٨٣هـ، وكانت أشهر دروسه لكتاب "المواقف" لعضد الدين الإيجي بشرح السيد فأظهر فيه ضلاعة في العلوم والحكمة ودقة في الفهم وبراعة في التقرير، وقد كان لهذه الدروس صداها في كتاب التحرير والتنوير[٨٩]

---

٨٨ الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ٤٢- ٤٥ .

[٨٩] المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

٣- الشيخ سالم بوحاجب (١٢٤٣هـ-١٣٤٣هـ)، (١٨٢٧م-١٩٢٤م) من مواليد بنبلة بالساحل التونسي تعلم بجامع الزيتونة، وهو تلميذ الشيخ محمود قبادو، وقد امتاز بذكاء وقوة إيمانية تبث الهداية حيثما حلت. اتصل بكبار علماء عصره وأبرز رجال السياسة، انتخب عضوا في المجلس الأكبر سنة ١٨٦١م مع خير الدين للتفاوض في شأن الفرمان المشهور، وسافر أيضا إلى إيطاليا مع الجنرال حسين في قضية القائد اليهودي نسيم شمامة سنة ١٨٧٨م وزار باريس ومعرضها سنة ١٨٧٩م ودام تدريسه بالزيتونة حوالي ثلاثين سنة، وكان في دروسه بجامع الزيتونة وفي خطبة الجمعية بجامع "سبحان الله: مثالا للعالم المصلح الذي نزع إلى الأصول والكليات، وأظهر أن الدين والحياة متلازمان وقد كان إلى جانب شيخه قبادو في اللفتة إلى الإقبال على علوم الحياة، حيث افتتح الجمعية الخلدونية بمحاضرة حلَّلَ فيها مقدار حاجة العالم المسلم إلى تلك العلوم سنة ١٨٩٦م، وكان بكل ما سبق ذا نزعة تجديدية واضحة؛ لهذا وجد فيه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده العالم الذي يسير معه على نهج واحد، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور يجل شيوخه وخاصة هذا الشيخ الذي أثبت له بعض الملاحظات في مؤلفاته الحديثية كالتدقيق في المعنى أو الإشارة إلى طريق من طرق الرواية قد انفرد بها الشيخ سالم يقول الشيخ محمد نجيب الخوجة بعد أن تحدث عن جملة من شيوخ مترجمنا: "وقد تخرج على أكبر علماء عصره، وكان شيخ شيوخهم العلامة سالم أبو حاجب وعلى هذا الأخير درس في مرحلة العالية كتب الحديث والسنة مثل القسطلاني على البخاري، والزرقاني على الموطأ، وأجازه شيخه الإجازة التامة المطلقة كتبها بخطه في دفتر دروسه في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٢٣هـ وقد أفاد رحمه الله من ملازمته له دقة نظر وسمو فكر وواسع معرفة".[٩٠]

---

[٩٠] الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ٤٢- ٤٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ونشرت نبذة منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير- مطبوع) ونشر في الجزائر (آثار ابن بايس) في ٤ مجلدات.[٩٥]

تأثر ابن عاشور بمفكري عصره:

لقد كَانَ للحركة الإصلاحية الَّتِي تزعمها السَّيِّد جمال الدِّين الأفغاني وتابعها تِلْمِيذه الشَّيْخ مُحَمَّد عَبده صداها الْبعيد فِي الْعَالم الإسلامي، فقد فتحت بصائر النَّاس وحركتهم عَن طَرِيق مجلة العروة الوثقى والزيارات المتتابعة للبلدان الإسلامية من قبل الشَّيْخَيْنِ جمال الدين الأفغاني وَمُحَمّد عَبده. وَفِي هَذَا النطاق تتدرج زيارتي الشَّيْخ مُحَمَّد عَبده إِلَى تونس الأولى كَانَت سنة ١٨٨٥م. وَكَانَ عمر الشَّيْخ مُحَمَّد الطَّاهِر ابْن عاشور ثَمَانِي سنوات، والأرجح أَن مترجمنا لم يتطلع إِلَى هَذِه الآراء الإصلاحية بعدُ نظراً لصِغَر سنه، أما الزِّيَارَة الثَّانِيَة لمفتي الديار المصرية فَكَانَت سنة ١٩٠٣م. وَكَانَ عمر الشَّيْخ مُحَمَّد الطَّاهِر ابْن عاشور ثَلَاث وَعشْرين سنة وَهُوَ يشغل خطة مدرس من الطَّبَقَة الثَّانِيَة وَقد نجح فِي هَذِه الخطة فِي نفس هَذِه السّنة.[٩٦]

مناصب ابن عاشور العلمية:

- لما أمتلأ ابن عاشور علماً واشتد نظره فهما أقبل على التدريس بالجامع الأعظم بدءا من سنة ١٨٩٩م. وفي سنة ١٣٢٠هـ-١٩٠٣م فاز في مناظرة التدريس من الطبقة الثانية عوضا عن الشيخ محمد النخلي ١٩٢٥م الذي ارتقى إلى الطبقة الأولى بوفاة الشيخ الصادق الشاهد، وفي سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٥م فاز في مناظرة التدريس الطبقة الأولى، وكان موضوع الدرس بيع الخيار في الفقه، وكانت خطة التدريس عوضا عن الشيخ حسين بن حسين (ت١٣٢٩هـ)؛ وكان ابن عاشور ذلك الوقت رئيس علماء المالكية، وكان

---

٩٥ الزركلي. ٢٠٠٢ . *الأعلام*. ج. ٦. ص. ٢٩٨.

٩٦ابن الخوجة. ٢٠٠٨. *شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ١٤٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

٤- الشيخ صالح الشريف من أصول جزائرية، ومن أشهر دروسه تفسيره الكشاف للزمخشري، ولعل هذا من أسباب ولوع الشيخ الطاهر ابن عاشور بهذا التفسير ونقله عنه ومناقشته لأرائه الاعتزالية ونهجه لمنهجه واللغوي في كثير من الأحيان في ثنايا تفسيره التحرير والتنوير، فالشيخ صالح من الأعلام البارزين الذين تلقى عنهم ابن عاشور خاصة دروس التفسير والعقائد.[٩١]

٥- ومن شيوخ ابن عاشور محمد النخلي أصيل القيرواني المتوفي ١٩٢٥م من أشهر علماء الزيتونة الذين برعوا في العلوم النقلية والعقلية وصفه الشيخ عبد الحميد ابن باديس تلميذه فقال:" رجلان يشار إليهما بالرسوخ في العلم والتحقيق وفي النظر والسمو والاتساع وفي التفكير أولهما العلامة الأستاذ شيخنا محمد النخلي القيرواني رحمه الله".[٩٢]

تلاميذه:

يعتبر الشيخ ابن عاشور معلم الأجيال، فقد عمر طويلا وبارك الله له في عمره حتى، تتلمذ على يديه الصغار والكبار، وانتفع به القاصي والداني، فمن أشهر تلاميذه:

- العلامة المحقق محمد الفاضل بن عاشور (١٣٢٧هـ- ١٩٠٩م؛١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م) وهو أديب خطيب، مشارك علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة الناهين في تونس، مولده ووفاته بها، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذا فيه فعميدا، وكان من أنشط أقرانه، دؤوبًا على مكافحة الاستعمار الذي كان يسمى (الحماية)، وشارك في ندوات علمية كثيرة وفي بعض مؤتمرات المستشرقين، وشغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية، وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة، طبع من

---

[٩١] الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ٤٠- ٤٢- ٤٣-٤٤- ٤٥.

[٩٢] المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كتبه: (أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي) و (الحركة الأدبية والفكرية في تونس) و (أركان الحياة العلمية بتونس) و (أركان النهضة الأدبية بتونس) و (التفسير ورجاله) وعاش في حياة أبيه مسترشدا بتوجيهه، ومعتمدا على مكتبته الحافلة بالنفائس[٩٣].

- الشيخ محمد الحبيب بن خوجة: تلقى العلم على يد الشيخ الطاهر، ولزمه وحضر دروسه التي كان يعقدها في بيته بعد صلاة التراويح في شهر رمضان، وقد تقلد جملة من المناصب التي تقلدها ابن عاشور من قبل مثل: عمادة الكلية الزيتونية، ومنصب الإفتاء في تونس، ثم شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، وله مجموعة من المؤلفات والمقالات المتعلقة بدراسة الجوانب اللغوية والبيانية في التحرير والتنوير[٩٤].

- الشيخ عبد الحميد بن باديس: وهو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس (١٣٠٥هـ-١٨٨٧م؛ ١٣٥٩ هـ-١٩٤٠م) أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م، إلى وفاته، ولد في قسطنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس، وأصدر مجلة (الشهاب)وهي مجلة علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ٢٥ مجلدا، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رئاسة الأمور الدينية فامتنع، واضطهد وأوذي، وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده، وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس، وتوفي بقسطنطينة في حياة والده، له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما،

---

١٩٣ الزركلي. ٢٠٠٢. *الأعلام*. ج. ٦. ص.٣٢٥.

٩٤ الزهراني، مشرف بن أحمد جمعان. ٢٠٠٦ .*أثر الدلالة اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور*. المملكة السعودية: جامعة أم القرى. ص. ٢٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يلقي في الساعة التاسعة من صباح كل يوم درسه بصوته الجهوري المحبوب الذي لم تضعف نبراته ولم تختل إلى أخر يوم من حياته. وفي سنة ١٣٢١هـ-١٩٠٤م سمي مدرسا بالمدرسة الصادقية، وفي سنة ١٣٢٦هـ-١٩٠٩م سمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة العلمية لما لوحظ عليه من كفاءة ومقدرة وسمي عضوا بلجنة الإصلاح الأولى وفي صفر ١٣٣٨هـ-١٩١٩م والثانية ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م.وتولي القضاء والإفتاء سنة ١٣٣٣هـ- ١٩١٣موعين مفتيا سنة ١٣٤١هـ-١٩٣٣م وبعد سنة أصبح كبير أهل الشورى.[٩٧]

آثار ابن عاشور العلمية:

كانت لابن عاشور مؤلفات متنوعة وكثيرة مثل مؤلفات في الفقه، واللغة، والإصلاح الاجتماعي، والتفسير، وغيرها من العلوم، فشملت أنواع كثيرة من الثقافة الإسلامية، تعود إلى التنشئة العلمية التي تظهر في تفسيره من خلال تكوينه العلمي وقد أشرت إلى ذلك في حياته العلمية، فمن مؤلفاته التي انتفع بها الناس واستقوا منها علوما ومعارفا بعضها مطبوع كما يلي:

- أصول الإنشاء والخطابة. (مطبوع في مجلد في مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية)، (أليس الصبح بقريب)، (التحرير والتنوير)، وهو أشهر كتبه، والذي نحن بصدد دراسته، و(تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة)، و(المترادف في اللغة)، و(قصة المولد النبوي الشريف)، و(كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ)، و(مقاصد الشريعة الإسلامية) مطبوع في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م في ثلاثة مجلدات،

٩٧الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ٥٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

و(موجز البلاغة)، و(النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح)، و(النظام الاجتماعي في الإسلام)، و(الوقف وأثره في الإسلام).[٩٨]

وفاته:

توفيّ الطَّاهِر بن عاشور يوم الأحد فِي ١٣ رَجَب ١٣٩٣ هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٩٧٣ م بعد حَيَاة حافلة بِالْعلمِ والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي.[٩٩]

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

---

[٩٨] رابط الموقع: http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/٢٠١٥/٣/٣/

[٩٩] الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ص.٦٨. والزركلي. ٢٠٠٢. *الأعلام*. ج. ٦. ص. ١٧٣.

في القرآن في كتب التوراة والإنجيل، ربما اهتدى بمن سبقه غيره من العلماء مثل الزمخشري في كشافه، والطبري في تفسيره، والبغوي كذلك وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم من العلماء، ولكن ظل هؤلاء العلماء حذرين من الزيف في القصص، ونقل المعلومة عن تلك الإسرائيليات، وقد ذكر ابن حزم موقف المسلمين من تلك الإسرائيليات فقال:" فما نزل القرآن والسنة، عن النبيﷺ بتصديقه، صدقنا به، وما نزل النص بتكذيبه، أو ظهر كذبه كذبنا به، ومالم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه، وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً، لم نصدقه ولم نكذبه وقلنا ما أمرنا به الرسول ﷺ أن نقوله، كما قلنا في نبوة من لم تأتينا باسمه نص"[٢٠٧].

كان للعقل عند ابن عاشور أساس المنهج فيما يقبله من التفسير بالرواية أو يرفضه، فقد كان يوثق من أعلى مصادر التراث توثيقاً بما يتطابق مع فكره بعد التحقق من أصالته، وعند الرفض يقدم كل تعليلٍ مقنعاً العقول بالمحتوى الأصيل من أمهات الكتب ومصادرها. وهذه نماذج على سبيل المثال والواردة في سورة البقرة الدالة على منهج ابن عاشور في تفسير السورة بأقوال من التوراة والإنجيل:

- قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢٠٨].

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية وخصوصاً ماورد في اسم آدم:" وآدم اسم الإنسان الأول أبي البشر في لغة العرب وقيل منقول من العبرانية لأن أداما بالعبرانية بمعنى الأرض وهو قريب لأن التوراة تكلمت على خلق آدم وأطالت في أحواله فلا يبعد أن يكون اسم أبي البشر قد اشتهر عند العرب من اليهود وسماع حكاياتهم، ويجوز أن يكون هذا الاسم عرف عند العرب والعبرانيين معا من أصل اللغات السامية فاتفقت

---

٢٠٧ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. ١٣١٧. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*". مصر. المطبعة الأدبية.ج.١. ص. ٢١٦.

٢٠٨ (القرآن. البقرة٢ :٣١).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مخالفته بما لا يخرجه عن أدب الكلام والأسلوب. ويجتهد فيما أنجزه الأقدمون بين تهذيب وإضافة دونما انتقاصاً من علومهم أو جحدها، وتعد عنده نقيصة من يتنكر للأقدمين فضل نعمة العلم والمعرفة.[١٠١]

المقدمات التي تضمنها تفسير "التحرير والتنوير":

بعد أن كتب ابن عاشور مقدمته الموجزة أتبعها بعشر مقدمات تشرح بالتفصيل منهجه وفلسفته في التفسير، وأغراض التفسير وشروطه وعلومه وعلاقة علوم اللغة بهذا العلم، وطريقة منهجه الذي اعتمد فيه المنطق والحجة برهاناً على صحة ما اجتهد بالوصول إليه، ويلاحظ ذلك جلياً من خلال التعمق بالنظر والمطالعة في مصنفه التحرير والتنوير، وقد جعل ابن عاشور لكل مقدمة عنواناً وغرضاً، واستغرقت هذه المقدمات حوالي ١٢٠ صفحة من المجلد الأول من الطبعة التونسية، وتفاوتت فيما بينها من حيث الحجم، فالمقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علماً. (ج. ١.ص١٠-١٧)، والمقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير. (ج.١.ص١٨-٢٧)، والمقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه. (ج. ١.ص٢٨-٣٧)، والمقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر. (ج. ١.ص.٣٨-٤٥) والمقدمة الخامسة: في أسباب النزول. (ج. ١.ص١٠-ص٤٦-٥٠)، والمقدمة السادسة: في القراءات. (ج. ١.ص١٠-ص.٥١-٦٣)، والمقدمة السابعة: قصص القرآن. (ج. ١.ص١٠-ص.٦٤-٦٩)، والمقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.(ج.١.ص١٠-ص.٧٠-٩٢)، والمقدمة التاسعة: في أن المعاني التي لا تحتمل جمل القرآن تعتبر مرادة بها.(ج. ١.ص١٠-ص.٩٣-١٠٠)، والمقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.(ج. ١.ص١٠-ص١٠١-١٣٠)،فهي مقدمات تمهد للقارئ لأن

---

[١٠١] يمكن للقارئ الكريم مراجعة المقدمات العشرة لتفسير التحرير والتنوير والوقوف بشكل مفصل عند دوافع تأليف الكتاب

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يفهم ويحدد مقومات منهجية ابن عاشور في تفسيره، وتعتبر هذه المقدمات في حد ذاتها كتيبا مستقلا يبرز عن علم غزير، وهي ضرورية لمن أراد أن ينتفع من هذا التفسير القيم، ويستزيد منه. [١٠٢]

المنهج العام للتفسير:

تفسير التحرير والتنوير في الجملة يهتم بعلم البلاغة وعلم البيان ويهتم لعلوم اللغة العربية وعلم القراءات، فهو تفسيرٌ يعتمد المنطق القائم على الحقائق العقلية في بيان أوجه التواصل بين آيي القرآن بعضها ببعض وعلاقة العلوم الأخرى بكتاب الله المجيد، وإن منهج مؤلفه فيه يتمثل في ذكر السورة وأسباب تسميتها وأسباب النزول بشكل عام ثم يعرض نزولها آيات متتالية وتواريخ نزولها مرتبطة بحادثة أو مناسبة تعزز صحة نزولها، ثم يذكر مقطعا من السورة ويشرع في تفسيره واستنباط المستويات اللغوية منه ثم التفسير الإجمالي ويتعرض فيه للقراءات والفقهيات وغيرها، وهو يقدم عرضا تفصيليا لما في السورة ويتحدث عن ارتباط آياتها. [١٠٣]

وهذا ما كان قد بينه في قوله: «ثم اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآيات بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآيات القرآنية بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع. أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر، ولم أغادر سورة

---

١٠٢ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ١٠-١٣٠.

١٠٣ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٧- ٨. وينظر الغالي. ١٩٩٦. *من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور*. ص.٧٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله، واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة. وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير".[١٠٤]

مصادر كتاب "التحرير والتنوير":

اعتمد ابن عاشور على كتب متعددة في علوم شتى أبرزها علم التفسير، وقد مثّلت تلك الكتب ثروة علمية له في كتابه هذا، وسأرجع إلى تلك المصادر التي ذكرها، حين التوثيق في مواضعه من الرسالة إن شاء الله تعالى، وأورد هنا طرفا من هذه المصادر طبقا لعلومها:

بعض مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن:

استطاعت الباحثة وبصعوبة عند البحث في تفسير ابن عاشور تحديد بعض مصادر ابن عاشور مستندة إلى ما ذكره من كتب ومصادر ومراجع وعلماء مستعينا ببعضها أو مستنداً بحجته إلى البعض الآخر أو مخالفاً لم ورد عن بعض العلماء العالم مع توضيح حجته مما ساعده في التأليف فبدأها بتفسير الكشاف ثم المحرر الوجيز ثم مفاتيح الغيب وتفسير البيضاوي(٦٨٥هـ)،والألوسي(ت ١٢٩٨هـ). وذكر بعض الحواشي على *الكشاف*، وتفسير أبي السعود(ت١٣٥٩هـ)؛ والقرطبي(ت٦٧٣هـ). وتقييده الأبي على ابن عرفة (ت

---

١٠٤ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١ ص.٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

٤٢٢ هـ)، وتفسير ابن جرير الطبري، ودرة التنزيل. وهذه بعض التفاسير التي اعتمد عليها ابن عاشور أوردها مثل: (أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي ت ٣٧٠هـ)، و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الشهير بتفسير أبي السعود، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت ٩٨٢هـ)، و(أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥هـ)، و(البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، و(تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ)، و(تفسير الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، و(تفسير القرآن الحكيم) (تفسير المنار) للشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، و(تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، و(جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت ٣١٠هـ)، و(الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت ٦٧١هـ)، و(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، و(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وهو أكثر التفاسير ذكرًا وأعلاها قدرًا عنده ،وقد أثنى عليه في مقدمات كتابه ثناءً عاطرًا)، و(الكشف والبيان، للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(ت٨٥٠هـ)، و(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٣هـ)، و(معالم التنزيل في تفسير القرآن،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، و(معاني القرآن، لزكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، و(مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦هـ).[١٠٥]

بعض مصادره من كتب السنة وشروحها

بحسب ما رصدته الباحثة من خلال ذكر ابن عاشور لها مثل: (الموطأ، لإمام أهل المدينة، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، و(المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، و(شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ)، و(سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، و(سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، و(سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ)، و(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور ب"صحيح البخاري"، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦هـ)، و(الجامع الصحيح (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٠٦هـ).[١٠٦]

بعض مصادره من كتب الفقه وأصوله مما ذكرها مثل: (الموافقات، للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط:

---

[١٠٥] يمكن للقارىء الكريم الرجوع إلى ابن عاشور. ١٩٨٤ . *التحرير والتنوير*. فقد قامت الباحث بمحاولة رصد هذه المصادر من خلال ذكر ابن عاشور لمؤلفيها أو من خلال ذكره لعناوين موضوعاتها عند الوقوف عند بعض المسائل الصرفية لمناقشتها أو تحليلها وشرحها.

[١٠٦] ابن عاشور. ١٩٨٤ . *التحرير والتنوير*. تم رصد هذه المصادر من خلال ذكر ابن عاشور للعلماء وأصحاب تلك عند وقوفه على مسألة صرفية مما هي تحت الدراسة والبحث.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م) ، (مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام الحراني، الشهير بابن تيمية(ت ٧٢٨هـ)، و(الرسالة ، للإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، و(الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي(ت٦٨٤هـ)، و(البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ).[١٠٧]

بعض مصادره من كتب اللغة والمعاجم والغريب:

وقد رصدت الباحثة الكثير من كتب اللغة ممن ذكرها ابن عاشور أو ذكر أراء علماءها مثل:

(لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، و(القاموس المحيط ، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، و(مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، و(غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي ت ٢٢٤هـ)، و(تهذيب اللغة ، للأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، و(معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) و(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، و (تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، و(تبصرة المتذكر، لابن رافع، الكراشي أحمد بن يوسف بن الحسن (ت٦٨٠هـ).[١٠٨]

---

[١٠٧] يمكن للقارىء الكريم الرجوع إلى ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*.

[١٠٨] المصدر نفسه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مصادره من الكتب البلاغية فقد ذكر نحو:

(البيان والتبيين للإمام عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) و(إعجاز القرآن لابن القاسم أبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر(ت ٤٠٤هـ)، و(مفتاح العلوم ، للسكاكي، أبي يعقوب سراج الدين يوسف بن محمد (ت ٦٢٧هـ)، و(أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، والشافية، وكلها لعبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني(ت ٤٧١هـ)، و(أساس البلاغة للزمخشري ، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، (سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي(ت ٤٦٦هـ)سر الفصاحة.[١٠٩]

مصادره النحوية:

فقد ذكر ابن عاشور أراء لبعض علماء النحو من خلال ما رصدهم من كتبهم ومصنفاتهم أو مما نقلها عنهم بعض العلماء الأخرين وعلى اختلاف مذاهبهم اللغوية مثل: أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، وعمرو بن عثمان بن قنبر الشهير ب" سيبويه" (ت ١٨٠هـ)، ومحمد بن المقنبر الشهير بـ"قطرب" (ت٢٠٦هـ)، والأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة(ت٢١١هـ)، ومحمد بن يزيد الأزدي"المبرد" (ت ٢٨٥هـ)، وأبي إسحاق بن إبراهيم بن إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١٠هـ)، ويحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ)، وأبي محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت ٣٨٢هـ)، وأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ)،

---

[١٠٩] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وأبي الفتح بن عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، ويعيش بن أبي علي بن يعيش بن أبي السرايا (ت ٦٤٣هـ) وغيرهم الكثير من علماء اللغة.، ولا يتسع المقام هنا لذكر مصادرهم لأن لبعضهم مؤلفات عدة.[١١٠]

كما أن له مصادر أخرى استعان بها في تعزيز الحجة، وتفسير المعنى وإثبات القاعدة اللغوية، مثل: المصادر الشعرية، وقصائد المعلقات، وشعر الجاهلية، والشعر الإسلامي، وفحولته، من أمثال: جرير(ت١٤٠هـ)، والفرزدق(ت٢١٠هـ)، والأخطل النصراني (ت١٠٠هـ)، والراعي (ت٩٠هـ)، وبشار بن برد (ت ٢٣٠هـ)، وعبد الحميد بن ثور (ت ٢٤٠هـ) وابن الرومي (ت ٦٣٧هـ) وغيرهم.

كذلك اعتمد ابن عاشور على مصادر في كتب التصوف للغزالي، والسهروردي، وابن سينا وغيرهم، واعتمد أيضا على أقوال سقراط وأفلاطون، وكذلك على كتب الأديان الأخرى مثل الإنجيل والتوراة، وكتب السيرة، وكتب المذاهب، والموسوعات العلمية مثل دائرة المعارف الإسلامية، وكتب التراجم.[١١١]

---

[١١٠] هذه المصادر مما قد ذكرها ابن عاشور في كتابه *التحرير والتنوير* أو ذكر أحد مؤلفيها عند استعراض رأيه في مسألة من إحدى مسائل الصرف التي رصدت للدراسة والبحث من قبل الباحثة.

[١١١] ينظر: الشوبكي، رانية. ٢٠٠٩. *الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسير التحرير والتنوير المعاني والبديع*. رسالة ماجستير. غزة الجامعة الإسلامية. والزهراني، مشرف بن أحمد. ٢٠٠٦ . *أثر الدلالة اللغوية في تفسير الطاهر بن عاشور*. رسالة دكتوراه. جامعة أم القرى.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المبحث الثالث: التعريف بسورة البقرة ومنهج ابن عاشور في عرضها وتفسيرها:

لا يختلف اثنان من المسلمين على المعلومات البسيطة عن سورة البقرة من حيث الطول وعدد الآيات والأجزاء والأرباع فيها، ولا يحتاج الناظر لإثبات ذلك بذكر مرجع أو مصدر؛ حتى يثبت صحة المعلومة التي رصدها؛ فتلك إذاً نقيصة فيه إن يجهل المسلم أو المسلمة، أبسط المعلومات عن كتاب دينه القويم، فمن اجتهاد الباحثة وما يلزمه عليها دينها من الإلمام ببعض الأمور الصغيرة مثل العلم بأطول سورة القرآن وعدد آياتها وكم جزأ فيها أمور بسيطة لا تتطلب الرجوع إلى مصادر أو مراجع لأن الظاهر يثبت الحقيقة ولكن الأمور الدقيقة مثل سبب التسمية، أو مناسبة النزول، أو ومناسبة كل آية، أو تاريخ الحادثة فيها إن وجدت، أو معاني التفسير، أو الجوانب اللغوية والشرعية، كلها دقائق تحتاج إلى الرجوع والتوثيق من مصادر موثوقة؛ للأمانة العلمية ولإثبات صحة المعلومة. فسورة البقرة هي أطول سور القرآن الكريم، من حيث عدد آياتها فهي تبلغ ٢٨٦ آية، وتتكون من جزأين وثلاثة أرباع ونصف الربع تقريباً، وقد تناولت قضايا متعددة بل لا يخفى على أحد من أن سورة البقرة يجد فيها المسلم معظم القوانين والتشريعات الدينية، والتي قامت عليها دولة الإسلام ونظمتها، وقد اجتهد فيها من اجتهد من المفسرين، واستخرجوا منها كنوزاً في مختلف العلوم والفنون، وقد كان للعالم الجليل ابن عاشور نصيب في الجهاد والاجتهاد شأنه شأن غيره من المفسرين، فقد طاف وتعمق في السورة الكريمة، وقد مسلك في عرضها وتفسيرها بيانه على النحو الآتي: [١١٢]

---

[١١٢] ويمكن للقارئ الكريم أن ينظر في المصحف الشريف مصحف المدينة المنورة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

طريقة تناوله للسورة البقرة:

يبدأ ابن عاشور تفسيره لسورة البقرة معتمداً التفسير بالرواية منهجاً، وقد بدأ بذكر اسم السورة، ووجه التسمية، وتشريفها بالألقاب، وقد كانت طريقته في تفسير السورة أي سورة البقرة أن يعرض لك آية ولمعانيها وأغراضها على حدة من الآية التي تليها، ويمكن استعراض ذلك كما يلي:

في اسم السورة وسبب تسميتها:

يبدأ ابن عاشور في تفسير سورة البقرة بتوثيق مسماها (سورة البقرة) من الرواية عن النبي عليه السلام وكلام السلف بذكر جزء قراءة الآيتين الآخرتين منها وفضلهما ذاكرا كما روي عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»،[١١٣] وكذلك ما جاء في تسمية هذه السورة بسورة البقرة حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: «لَمَّا أُنْزِلَتِ الآيَاتُ الأَوَاخِرُ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلاَهُنَّ فِي المَسْجِدِ، فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الخَمْرِ»[١١٤]

ويذهب إلى بيان سبب تسميتها بسورة البقرة، ذاكرا أن قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية لهم، وهنا يظهر لنا جلياً رأيه حول التسمية قائلاً إن القصة قد أضيفت لتميز السورة عن بقية السور التي تتشابه معها عند بداية أول آية:" وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزا لها عن السور الم

---

١١٣ البخاري، محمد بن إسماعيل. ١٤٢٢ . *صحيح البخاري*. ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. مصر: دار طوق النجاة. كتاب. *فضائل القرآن*. باب فضل سورة البقرة ج. ٦. ص. ١٨٨. رقم الحديث: ٥٠٠٩. ومسلم، مسلم بن الحجاج القشيري.١٩٧٢. صحيح *مسلم*. ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب. *صلاة المسافرين وقصرها*. باب. فَضْلِ الْفَاتِحَةِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ. ج. ١. ص. ٥٥٥. . رقم الحديث: ٢٥٦.

١١٤ البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب. تفسير القرآن. باب. يمحق الله الربا (يذهبه). ج. ٦. ص. ٣٢٠. رقم الحديث: ٤٥٤ .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

من الحروف المقطعة لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المقطعة أسماء للسور الواقعة هي فيها وعرفوها بها نحو: "يس"، و "ص"، ويوضح أن ما جاء في المستدرك عن قوله عليه السلام:«إن لكل شيء سناما، وإن سنام القرآن سورة البقرة»[١١٥]، أوضح المعنى المعجمي لكلمة سنام في مختصر من التعريف بأن سنام كل شيء أعلاه وهذا ليس علما لها ولكنه وصف تشريف. وكذلك قول خالد بن معدان (ت ١٠٤ هـ)، إنها فسطاط القرآن والفسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة[١١٦]

في ترتيب سورة البقرة وعدد آياتها:

يقول ابن عاشور: "وعدد آياتها مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام، وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة" ويرى ابن عاشور في ترتيب سورة البقرة بالنسبة لسور القرآن أنها تعد السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور؛ حيث نزلت بعد سورة المطففين وقبل آل عمران. وأن من أول أغراض السورة هو تنقية المجتمع الإسلامي من شوائب الجاهلية، سعياً لتأسيس المدينة الفاضلة، واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم، ويشير إلى عناية الأنصار بحفظ هذه السورة على أنها كانت أول سورة نزلت بعد الهجرة ذلك يسوق ابن عاشور من السيرة حديث الرسول عليه السلام يوم حنين أنه لما انكشف المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس: «اصرخ يا معشر الأنصار يا أهل

---

١١٥ الحاكم النيسابوري. محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. تح. مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية . ج. ٢. ص. ٢٨٥. رقم الحديث: ٣٠٢٧. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. و وافقه الإمام الذهبي.

١١٦ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٢٠١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

السمرة (يعني شجرة البيعة في الحديبية) يا أهل سورة البقرة» فقال الأنصار: لبيك لبيك يا رسول الله أبشر.[١١٧]

في إثبات مدنية سورة البقرة:

يذهب ابن عاشور إلى أن سورة البقرة أنزلت بالمدينة المنورة باتفاق العلماء، وتعد أول سور القرآن الكريم، ولإثبات وتوثيق مدنية سورة البقرة وأنها أول سورة نزلت في المدينة يسوق ما ذكره ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في (شرح البخاري) وحكى الاتفاق عليه.[١١٨]

وتأكيد نزولها في المدينة في ذكر فرض شعيرة الصوم قائلاً: "ولا شك أن سورة البقرة فيها فرض الصيام، والصيام فرض في السنة الأولى من الهجرة، فرض فيها صوم عاشوراء، ثم فرض صيام رمضان في السنة الثانية لأن النبي صلى الله عليه وسلم صام تسع رمضانات أولها رمضان من العام الثاني من الهجرة، فتكون سورة البقرة نزلت في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية".[١١٩]

---

١١٧ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١. ص.٢٠٠. وينظر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد،١٩٨٩. *المغازي*. ت: مارسدن جونس. بيروت. دار الأعلمي. الطبعة الثالثة. ج.٢. ص. ٨٠٩.

١١٨ ابن حجر العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق وترقيم وتصحيح وإخراج: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب. ج. ٨. ص.١٦٠.

١١٩ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج١. ص. ٢٠١.

الباحثة: ولكن ابن عاشور رحمه الله ذكر ما يخالف ذلك في العدد في موضع آخر من الكتاب حيث قال في ٢ ج. ص.١٥٧. فهذه الآية شرعت وجوب صيام رمضان، لأن فعل كتب يدل على الوجوب، وابتداء نزول سورة البقرة كان في أول الهجرة كما تقدم فيكون صوم عاشوراء تقدم عاما ثم فرض رمضان في العام الذي يليه وفي «الصحيح» أن النبي صلى الله عليه وسلم صام تسع رمضانات فلا شك أنه صام أول رمضان في العام الثاني من الهجرة ويكون صوم عاشوراء قد فرض عاما فقط وهو أول العام الثاني من الهجرة".

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويذهب إلى سوق روايتين عن حديث السيدة عائشة والذي يتضح من خلاله نزول سورة البقرة بالمدينة يقول: "وفي البخاري عن عائشة «وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ»[١٢٠]. (تعني النبي صلى الله عليه وسلم) وكان بناء رسول الله على عائشة في شوال من السنة الأولى للهجرة، وقيل في أول السنة الثانية، وقد روي عنها أنها مكثت عنده تسع سنين فتوفي وهي بنت ثمان عشرة سنة وبنى بها وهي بنت تسع سنين، وذكر ابن عاشور رواية السيدة عائشة رضي الله عنها عن نزول سورة البقرة وهي ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة مواضع من تفسيره، مرة في تفسير البقرة (ج.١ .ص٢٠٢)، ومرة في تفسير سورة النساء(ج.٤. ص١١٢)، ومرة في تفسير سورة الصف (ج٢٨.ص١٨٠). [١٢١]

في أسباب نزول سورة البقرة:

يذهب ابن عاشور إلى ذكر أسباب نزول القرآن الكريم_ ترى الباحثة أنها أسباب عامة، تختص بشكل عام بكل آيات القرآن، وإن الغرض من نزول سورة البقرة خصوصاً، هو تنظيم الدولة الإسلامية وتنقيتها من شوائب الجاهلية وتأسيس المدينة الإسلامية الفاضلة، فلذلك تعده الباحثة سبب عاماً من أسباب نزول سورة البقرة؛ لأنَّ أسباب النزول في هذه السورة تكاد تكون متعددة بعدد آيات السورة أي قد تكون لكل آية مناسبة للنزول، فالبحث سيكون في بعض الآيات الكريمة من سورة البقرة، وكأنموذج للنظر في منهجية ابن عاشور حول أسباب النزول، وعلى ما كان اعتماده في توثيق صحة أسباب النزول للآية الكريم، ففي بعض الآيات استند إلى النقل عن الواحدي(ت٤٦٨هـ) من كتابه: (أسباب النزول) وفي آيات أخرى كان استناده على بعض الرواة والمفسرين، فيتحدد البحث في الآيات التالية مرتبة على الترقيم التصاعدي من السورة :

---

١٢٠ البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري. كتاب. تفسير القرآن*. باب تأليف القرآن. ج ٦. ص. ١٨٥. رقم الحديث:٤٩٩٣.

١٢١ ابن عاشور. ١٩٨٤. ج.١. ص ٢٠١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

– سورة البقرة ، الآية (٢٦)،(٢٧)، يقول الله تعالى في محكم كتابه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾[١٢٢]

يوضح ابن عاشور المظهر العام للآية، بما فيها من مواعظ وأحكام قبل أن ينتقل إلى التفصيل ويذكر المناسبة التي على ضوئها جاءت صيغة الآية، لتناسب الربط بينها وبين الآية التي سبقتها، ويستند إلى ما رواه الواحدي(٤٦٨هـ) في مصنفه (أسباب النزول) في أسباب نزول هذه الآية حيث قال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ ﴾[١٢٣]

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۘ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾[١٢٤]. قال المشركون[١٢٥]

---

١٢٢ (القرآن. البقرة ٢: ، ٢٦، ٢٧).

١٢٣ (القرآن. الحج ٢٢: ٧٣).

١٢٤ (القرآن. العنكبوت ٢٩: ٤٤).

[١٢٥] ابن عاشور. ١٩٨٤. التحرير والتنوير. ج.١. ص. ٥٥٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أرأيتم أي شيء يصنع بهذا فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ وروي عن الحسن(ت١١٠ هـ) ، وقتادة(ت١١٨ هـ) أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا ما يشبه أن يكون هذا كلام الله فأنزل الله: إن الله لا يستحيي.. الآية"[١٢٦]

- يقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[١٢٧]

يقول ابن عاشور: "وفي «تفسير ابن عطية» و«الكشاف» و«أسباب النزول» للواحدي أن حذيفة بن اليمان(ت٣٦هـ) وعمار بن ياسر(ت٣٧هـ) أتيا بيت المدراس، وفيه فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس وغيرهما من اليهود فقالوا لحذيفة وعمار: «ألم تروا ما أصابكم يوم أحد ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير ونحن أهدى منكم» فردا عليهم وثبتا على الإسلام.[١٢٨]

أي أنه يرى وهذا قوله: "مناسبته لما قبله أن ما تقدم إخبار عن حسد أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم، وآخرتها شبهة النسخ، فجيء في هذه الآية بتصريح بمفهوم قولهم: ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب.[١٢٩]

---

١٢٦ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٣٥٨. وينظر: الواحدي، علي بن أحمد بن محمد. ١٤١١. *أسباب نزول القرآن*. ت: كمال بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية. ص.٢٧.

١٢٧ (القرآن. البقرة ٢: ١٠٩).

١٢٨ ينظر: الزمخشري. ١٤٠٧. *الكشاف*. ج. ١ . ص. ١٦٧. و الواحدي. ١٤١١. *أسباب نزول القرآن*. ص.٣٨.

١٢٩ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١. ص. ٦٩٩ .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وعند موضع أخر من سورة البقرة، يذكر ابن عاشور السبب في نزولها وهي في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾. [١٣٠]

والآية نازلة في مشركي العرب كما في رواية عطاء(ت١٢٦هـ) عن ابن عباس(ت٣٦هـ) وهو الذي يقتضيه قوله: (أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ) الآية كما سيأتي وهي تشير إلى منع أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الدخول لمكة كما جاء في حديث سعد بن معاذ حين رضي الله عنه حين دخل مكة خفية وقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بالبيت آمنا وقد أويتم الصُبَّاء، وتكرر ذلك في عام الحديبية. [١٣١] ويذهب ابن عاشور إلى أن أسباب النزول، قيل: في بختنصر ملك أشور وغزوه لبيت المقدس ثلاث غزوات أولاها في سنة ٦٠٦ قبل المسيح زمن الملك يهوياقيم ملك اليهود سبى فيها جمعاً من شعب إسرائيل. وقيل: نزلت في جيوش طيطس الروماني لأورشليم سنة ٧٩ قبل المسيح فخرب بيت المقدس وأحرق التوراة وترك بيت المقدس خرابا إلى أن بناه المسلمون بعد فتح البلاد الشامية، ولكنه يذهب إلى التعويل على الرواية الأولى وهي المأثورة عن ابن عباس رضي الله عنه(ت٣٦هـ)، حيث إنها نزلت في مشركي العرب وكان قد أشار إلى أن المشركين شابهوهم في ذلك عند قوله تعالى:﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ

---

١٣٠ (القرآن. البقرة ٢: ٢١٤).

١٣١ **الباحثة:** يعني الذين دخلوا في الإسلام (لأنهم كانوا يقولون عنهم: صبأ فلان ، أي دخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [١٣٢]، عطف الكلام إلى بيان ما تفرع عن عدم ودادة المشركين نزول القرآن .[١٣٣]

وفي موضع أخر من سورة البقرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾. [١٣٤]

ويشير ابن عاشور إلى سبب نزول هذه الآية كان في علماء اليهود الذين يكتمون علمهم بدلائل نبوة الرسول عليه السلام ونبوته، وباختصار شديد دون الإفصاح عمن ذكره من علماء التفسير، حيث قال: "قال المفسرون إن هاته الآية نزلت في علماء اليهود في كتمهم دلائل صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته وصفات دينه الموجودة في التوراة وفي كتمهم آية الرجم، وهو يقتضي هو يقتضي أن اسم الموصول للعهد فإن الموصول يأتي له المعرف باللام وعليه فلا عموم هنا، وأنا أرى أن يكون اسم الموصول هنا للجنس فهو كالمعرف بلام الاستغراق فيعم ويكون من العام الوارد على سبب خاص ولا يخصص بسببه ولكنه يتناول أفراد سببه تناولا أوليا أقوى من دلالته على بقية الأفراد الصالح هو للدلالة عليها ". [١٣٥]

وقد حاولت الباحثة الاطلاع والنظر في بعض كتب التفسير ممن توفر لديها، والتي تناولت أسباب النزول لهذه الآية ممن سبق عصر ابن عاشور، فوجدت أن الجرجاني ذكر ذلك في تفسيره درج الدر، والواحدي في تفسيره الوسيط، والبغوي في تفسيره "معالم التنزيل"، وكذلك شرحها الزمخشري في كشافه والبيضاوي في

---

١٣٢ (القرآن. البقرة ٢: ١٠٥).

١٣٣ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١. ص. ٦٨٧.

١٣٤ (القرآن. البقرة٢ :١٥٩).

١٣٥ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.٢. ص. ٦٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تفسيره، وذكرها وأبو حيان أيضاً في "البحر المحيط" وهذه المواضع مبسوطة في صفحات تلك الكتب التي سبقت عصر ابن عاشور، وفي الآية ٢٠٧ من سورة البقرة يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [١٣٦] استند ابن عاشور في ذكر أسباب نزول هذه الآية الكريمة إلى رواية سعيد بن المسيب(ت٩٤هـ)، بسرد قصة صهيب بن سنان النمري بن النمر بن قاسط الملقب بالرومي مع قريش حين أراد اللحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم والهجرة إلى المدينة، لأنه كان قد أسره الروم في الجاهلية في جهات الموصل واشتراه بنو كلب فكان مولاهم؛ وأثرى في الجاهلية بمكة، وكان من المسلمين الأولين فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم خرج صهيب مهاجرا فلحق به نفر من قريش ليوثقوه فنزل عن راحلته وانتثل كنانته وكان راميا وقال لهم: لقد علمتم أني من أرماكم، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي عما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فقالوا: لا نتركك تخرج من عندنا غنياً وقد جئتنا صعلوكاً، ولكن دلنا على مالك ونخلي عنك، وعاهدوه على ذلك فدلهم على ماله، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين رآه: "رَبِحَ البيعُ أيا يحيى" وتلا عليه هذه الآية.[١٣٧]

---

١٣٦ (القرآن. البقرة ٢: ٢٠٧).

١٣٧ الباحثة: سبب نزول هذه الآية الكريمة في قصة الصحابي صهيب الرومي مشهورة عند علماء التفسير والسيرة، حيث ذكرها عشرات العلماء، منهم، ذكرها الطبري في *جامع البيان*. ج.٤. ص. ٢٤٨، والزجاج في *معاني القرآن*. ج.١. ص. ٢٧٨، وابن أبي حاتم في *تفسيره*. ج.٢. ص٣٦٩، والقرطبي في *الجامع لأحكام القرآن*. ج.٣.ص. ٢٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ولابن عاشور رأيه في هذه القصة لاسيما مع تعدد الروايات فيمن نزلت فيه الآيات من المسلمين والصحابة، فيرى أنها آية عامة لا تختص أحدا لأنَّ من قصة صهيب قصص عديدة مماثلة، وذلك بقوله:" والأظهر أنها عامة، وأن صهيباً أو غيره ملاحظ في أول من تشمله".[١٣٨]

- ومن سورة البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [١٣٩]

يروي ابن عاشور حادثة أسباب نزول هذه الآية الكريمة مستنداً إلى رواية الواحدي(٤٦٨هـ) في أسباب النزول فقد رواها عن الزهري(ت١٥٢هـ) مرسلا، والطبري(ت٣١٠هـ) فقد رواها عن عروة ابن الزبير(ت٩٣هـ) مرسلا ومطولا أن هذه الآية نزلت في شأن سرية عبد الله بن جحش(ت٣ هـ)، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله في ثمانية من أصحابه يتلقى عيراً لقريش ببطن نخلة في جمادى الآخرة في السنة الثانية من الهجرة، فلقي المسلمون العير فيها تجارة من الطائف وعلى العير عمرو بن الحضرمي، فقتل رجل من المسلمين عمرا وأسر اثنين من أصحابه وهما عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وفرَّ منهم

---

١٣٨ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.٢. ص.٢٧٣.

١٣٩ (القرآن. البقرة ٢ : ٢١٧).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

نوفل بن عبد الله بن المغيرة وغنم المسلمون غنيمة، وذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة، فعظم ذلك على قريش وقالوا: استحل محمد الشهر الحرام وشنعوا ذلك فنزلت هذه الآية الكريمة.[١٤٠]

من الظاهر أن هذه الآية قد نزلت بعد الآيتين ١٩٠، و٢١٦ من سورة البقرة غير أن ابن عاشور يرى أن هناك تباعد زمني بين نزول هذه الآية والآيتين السابقتين بمدة طويلة، وأن بترتيب التلاوة الآيتين ١٩٠، و٢١٦، قبل الآية ٢١٧ لتكون هي مكملة لما اشتملت عليه الآيتين، ويذهب ابن عاشور إلى الأظهر عنده أنها نزلت بعد الآية التي قبله، وأنها تأكيداً وتكملة للآية (١٩٤) الشهر الحرام بالشهر الحرام قرينة الحدث دالة على أسباب النزول.[١٤١]

- من سورة البقرة الآيتان: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.[١٤٢]

يروي ابن عاشور قصة الخروج إلى غزوة تبوك وجيش العسرة كان الجيش يومئذ بحاجة إلى الجهاز حين حث النبي عليه السلام المسلمين على الإنفاق في سبيل الله فكان أول المنفقين عثمان بن عفان(ت٣٥هـ) وعبد الرحمن بن عوف(ت٣٢هـ)،وقد كان استناد ابن عاشور إلى الواحدي في أسباب النزول.[١٤٣]

---

١٤٠ ينظر: الطبري. ٢٠٠. *جامع البيان*. ج. ٤. ص. ٣٠٥. والواحدي. ١٤١١. *أسباب نزول القرآن*. ص. ٧٠.

١٤١ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢. ص. ٣٤٢.

١٤٢ (القرآن. البقرة٢: ٢٦١_ ٢٦٢).

١٤٣ الواحدي. ١٤١١. *أسباب نزول القرآن*. ص. ٨٩

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

في أغراض سورة البقرة:

يذهب ابن عاشور إلى تسمية أغراض سورة البقرة بالمنة، وأن هذه الأغراض تنقسم إلى قسمين: [١٤٤]

-قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس: حيث أشار ابن عاشور إلى التحدي الذي يكمن في الرموز التي ابتدأت بهم سورة البقرة لما فيها من مقاصد ومعاني شديدة الأثر، ووقعاً على النفوس لانتظار ما يتعقبه من صريح التعجيز، ومن أغراض سورة البقرة أنها ابتدأت بمنة بذكر أكثر الأصناف انتفاعا بهذا الدين وهي فئة المؤمنين خصوصا المؤمنين بالغيب والمقيمين للصلاة وبشكل عام المسلمين، ثم أشار إلى أن القرآن قد ذكر أشد الأصناف عناداً وحقداً وهما المشركين صراحة والمنافقين وصنفا في صنف واحد فقرعهم الدين بالحجة الدامغة والبراهين الساطعة، ذكر ابن عاشور أن الإطناب خص به المنافقين؛ لتشويه نفاقهم وإظهار ما يبطنونه وردا لمطامعهم، ثم كان خاتمة ما قرعت به أنوفهم صريح التحدي الذي رمز إليه بدءا تحديا يلجمهم إلى الاستكانة ويخرس ألسنتهم عن التطاول والإبانة، ويلقي في قرارات أنفسهم مثلة الهزيمة وصدق الرسول الذي تحداهم، ومن منة سورة البقرة تذكير الناس بالخلق الأول قبل أن يعبدوا تلك الأصنام التي صنعوها وأدعوا أنها من صالحي قوم نوح ومن جاء بعده [١٤٥]

- ومن أغراض سورة البقرة والتي أشار إليها ابن عاشور منة تفضيل أصل ابن آدم عن بقية الخلق، وعلمه بالأسماء كلها تمييز له عن الملأ الأعلى والذي نشأت على إثره عداوة إبليس ونسله لآدم ونسله، والغرض توضيح للسامعين شهواتهم وعدواتهم ولمحاسبتها، ومن أغراض سورة البقرة وكما يقول ابن عاشور: "المنة العظمى" وهي ذكر أهل الكتاب الذين كانوا أشد الناس مقاومة ومحاربة لدين الإسلام وقرآنه وأنفذ قولا من عامة العرب لأنهم كانوا أهل علم ويستدل ابن عاشور بآية من سورة البقرة للاستشهاد بها على ما

---

[١٤٤] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٢٠٣- ٢٠٦.

[١٤٥] المصدر والجزء نفسه. والصفحات نفسها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يـذهـب إليـه ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[١٤٦]

– ذكر ابن عاشور أغراض سورة البقرة في أصل ملة الإسلام، أنه على ملة إبراهيم وأن الآية لذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة اذخره الله للمسلمين آية على أن الإسلام هو القائم على أساس الحنيفية، وذكر شعائر الله بمكة، وليست اليهودية ولا النصرانية على هذه الملة، إن العناية بالتركيز على وجهة الاستقبال ليست الغاية، وإنما التركيز على تزكية النفوس أجدر وأن نسخ الشرائع ماكن على ملة هذا الدين وليس في نسخ التوراة أو الإنجيل.[١٤٧]

–وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم.

وقد انتهى ابن عاشور من توضيح إثبات نحو هذا الدين دين الإسلام ليذكر بإيجاز القسم الذي احتوى الشرائع المتبعة لصالح إصلاح المجتمع وهي كما يلي:

–انتقل إلى قسم تشريعات الإسلام إجمالا بقوله: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾[١٤٨]

–ثم تفصيلا: القصاص، الوصية، الصيام، الاعتكاف، الحج، الجهاد، ونظام المعاشرة والعائلة، المعاملات المالية، والإنفاق في سبيل الله، والصدقات، والمسكرات، واليتامى، والمواريث، والبيوع والربا، والديون، والإشهاد، والرهن، والنكاح، وأحكام النساء، والعدة، والطلاق، والرضاع، والنفقات، والأيمان.[١٤٩]

---

١٤٦ (القرآن. البقرة ٢: ٤٠).

[١٤٧] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١. ص. ٢٠٣-٢٠٦.

١٤٨ (القرآن. البقرة. ٢: ١٧٧)

[١٤٩] يمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى تفسير ابن عاشور الجزء الأول عند سورة البقرة .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

-وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية وذلك من جوامع الكلم فكان هذا الختام تذييلا ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [١٥٠]

ويصل بعرضه الأغراض منتهاه بقوله:" وكانت في خلال ذلك كله أغراض شتى سبقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات تجديدا لنشاط القارئ والسامع، كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع، وتخرج بوادر الزهر عقب الرعود القوارع، من تمجيد الله وصفاته:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [١٥١] ورحمته وسماحة الإسلام، وضرب أمثال:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [١٥٢] واستحضار نظائر: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ [١٥٣]، وعلم وحكمة، ومعاني الإيمان والإسلام، وتثبيت﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [١٥٤] والكمالات الأصلية، والمزايا التحسينية، وأخذ الأعمال والمعاني من حقائقها وفوائدها لا من هيئاتها، وعدم الاعتداد بالمصطلحات إذا لم ترم إلى غايات كما في قول الله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

---

١٥٠ (القرآن. البقرة ٢: ٢٨٤).

١٥١ (القرآن. البقرة ٢: ٢٥٥).

١٥٢ (القرآن. البقرة ٢: ١٩).

١٥٣ (القرآن. البقرة ٢: ٢٤٣).

١٥٤ (القرآن. البقرة٢: ١٥٣).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [١٥٥]،وقوله جل شأنه﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ ﴾[١٥٦] ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[١٥٧]. والنظر والاستدلال، ونظام المحاجة، وأخبار الأمم الماضية، والرسل وتفاضلهم، واختلاف الشرائع".[١٥٨]

في تفسيره لآيات سورة البقرة:

التفسير بالقرآن الكريم:

يقول ابن عاشور في المقدمة الثانية من تفسيره التحرير والتنوير:" ... اعلم أنه لا يعد من استمداد علم التفسير يعد أيضا ما في بعض آيي القرآن من معنى يفسر بعضا آخر منها، لأن ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض، كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المجمل وتأويل الظاهر ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ومفهوم المخالفة، وذكر ابن هشام(ت٧٦١هـ) في «مغني اللبيب»، في حرف لا، عن أبي علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، أن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى، نحو:﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾[١٥٩]

---

١٥٥ (القرآن. البقرة ٢: ١٧٧)

١٥٦ (القرآن. البقرة ٢: ١٨٩)

١٥٧ (القرآن. البقرة ٢: ٢١٧).

[١٥٨] ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١.ص٢٠٣-٢٠٦.

١٥٩ (القرآن. الحجر ١٥: ٦).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وجوابه:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [١٦٠]، وهذا كلام لا يحسن إطلاقه، لأن القرآن قد يحمل بعض آياته على بعض، وقد يستقل بعضها عن بعض، إذ ليس يتعين أن يكون المعنى المقصود في بعض الآيات مقصوداً في جميع نظائرها، بله ما يقارب غرضها" [١٦١]، وقد سار ابن عاشور في تفسير القرآن بالاستعانة على فهم المجمل في القرآن في موضع وتفسيره بالمفصل في موضع آخر منه، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- قوله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٦٢]

-تفسير (اللفظ) في الشاهد (القلوب) ففي سورة البقرة أشار إلى أن أصل المعنى فيه العقل:" وأن ليس الختم على القلوب والأسماع ولا الغشاوة على الأبصار هنا حقيقة كما توهمه بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية؛ بل ذلك مجاز على طريقة المجاز بأن جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق" [١٦٣].

وقد فسر هذه الآية من الشاهد [١٦٤] (القلوب) باللفظ ذاته حين ورد في الآية ١٤ من سورة المطففين﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يقول في تفسير الشاهد (قلوبهم):"والقلوب:

---

١٦٠ (القرآن. القلم ٦٨: ٢). وينظر: ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد. ١٩٨٥. *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. ت: مازن المبارك و آخر. دمشق: دار الفكر. الطبعة السادسة .ص. ٣٢٨

١٦١ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١ ص. ٢٧.

١٦٢ (القرآن. البقرة٢ : ٧).

١٦٣ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.١ ص. ٢٥٤.

١٦٤ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.٣ ص. ١٩٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

العقول ومحال الإدراك. وهذا كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [١٦٥]

-وفي موضع آخر وشاهد آخر قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [١٦٦]، فالشاهد هنا هو تفسير لفظ الغيب على أنه علم الله الذي استأثر به فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [١٦٧]

يقول ابن عاشور في معنى (الغيب): "من المعلومات المغيبات عن الناس، وهي مما استأثر الله بعلمه وهو المعبر عنه بالغيب، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [١٦٨]

وقد استقر عند الناس كلهم أن أمور الغيب لا يعلمها إلا الله أو من أطلع من عباده على بعضها، وفي ذات الآية إلى الحديث عن المضاف المحذوف والذي كان مذكوراً في سورة النجم والكلام هنا على حذف مضاف، أي ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [١٦٩]

---

١٦٥ (القرآن.البقرة٢: ٧).

١٦٦ (القرآن. البقرة٢:٣).

١٦٧ (القرآن. الطور٥٢: ٤١).

١٦٨ (القرآن البقرة ٢: ٣).

١٦٩ (القرآن. الطور ٥٢: ٤١).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وكما قال تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ [١٧٠] فالمراد بقوله عندهم الغيب أنه حصل في علمهم ومكنتهم، أي باطلاع جميعهم عليه أو بإبلاغ كبرائهم إليهم وتلقيهم ذلك منهم. وتقديم عندهم على المبتدأ وهو معرفة لإفادة الاختصاص، أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله..[١٧١]

-قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٧٢]

جاء في تفسير ابن عاشور للفظ (قوم) في هذه الآية من سورة الصف: أن الذين بلغوا هذا المبلغ من الظلم لا طمع في صلاحهم لتمكن الكفر منهم حتى خالط سجاياهم وتقوم مع قوميتهم، ولذلك أقحم لفظ القوم للدلالة على أن الظلم بلغ حد أن صار من مقومات قوميتهم كما تقدم في قوله تعالى: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾[١٧٣] هذا الوصف على لفظ(قوم) يومئ إلى أن ذلك الوصف سجية فيهم، ومن مكملات قوميتهم، فإن للقبائل والأمم خصائص تميزها وتشتهر بها كما قال تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦﴾[١٧٤]، وقد تكرر هذا في مواضع كثيرة من القرآن ومن كلام العرب، فالمعنى أن في ذلك آيات للذين سجيتهم العقل، وهو

---

١٧٠ (القرآن. النجم ٣٥: ٥٣).

١٧١ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢٩. ص ١٠٣.

١٧٢ (القرآن. الصَّف ٦١: ٧).

١٧٣ (القرآن. البقرة ٢: ١٦٤).

١٧٤ (القرآن. التوبة ٩: ٥٦).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليست عقولهم براسخة ولا هي ملكات لهم وقد تكرر هذا في سورة يونس.[١٧٥]

فتفسير القرآن بالقرآن يكون بحمل المجمل على المبين ليفسر به، وأن يشرح ما جاء مختصراً وموجزاً في بعض المواضع بما جاء مطنباً ومسهباً في موضع آخر كقصة إبليس وآدم، وقصة موسى وفرعون، فقد كانتا موجزة في بعض مواضع القرآن ومسهبة مطولة في مواضع أخرى، وكذلك حمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وحمل بعض القراءات على غيرها وإن اختلفت في اللفظ ولكنها تتفق بالمعنى.[١٧٦]

التفسير بالحديث:

للسنة النبوية الشريفة وأحاديث النبي عليه السلام دور كبير في تفسير بعض ما جاء في القرآن من المجمل والمختصر والمشكل منه، وكذلك تخصيص العام فيه، وغيره مما رود في القرآن الكريم وأحتاج إلى توضيحه، خصوصاً إن لم نجد توضيحه بالقرآن يلجأ المفسر إلى الاستعانة بأحاديث النبي عليه السلام، بل ويعد من الشروط التي يجب توفرها في المفسر أن يكون عالماً وملماً بأحاديث النبي عليه السلام وأحداثها، فهذا الشيخ محمد عبد الله دراز يقول في مقدمة كتاب (الموافقات) للشاطبي في أهمية الاستعانة بالسنة:" لما كان الكتاب العزيز هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وكانت السنة راجعة في معناها إليه؛ تفصل مجمله، وتبين مشكله، وتبسط موجزه؛ كان لا بد -لمريد اقتباس أحكام هذه الشريعة بنفسه- من الرجوع إلى الكتاب والسنة، أو إلى ما تفرع عنهما بطريق قطعي من الإجماع والقياس، ولما كان الكتاب والسنة واردين بلغة العرب، وكانت لهم عادات في الاستعمال، بها يتميز صريح الكلام وظاهره ومجمله، وحقيقته ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ونصه وفحواه، إلى غير ذلك؛ كان لا بد -لطالب الشريعة من هذين الأصلين-

---

١٧٥ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ٢ ص. ٨٩.

١٧٦ المدني، محمد. ١٤٢٢. ج. ١. ص. ٣١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أن يكون على علم بلسان العرب في مناحي خطابها، وما تنساق إليه أفهامها في كلامها؛ فكان حذق اللغة العربية بهذه الدرجة ركنا من أركان الاجتهاد".[١٧٧]

وإن الناظر في تفسير التحرير والتنوير ليجد أن ابن عاشور قد اعتمد مصادر كثيرة ومتنوعة من مصادر الحديث النبوي، وكان أكثر ما اعتمده ابن عاشور من مصادر الحديث: (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم) يليهما (موطأ الإمام مالك) كما تقدمت الإشارة إليه سابقا حين الكلام عن مصادر تفسير التحرير والتنوير، مما كان له الأثر الواضح في توضيح آيات سورة البقرة فيكون الحديث قد ظهرت آثاره في مواضع عدة وأخذ أشكالا عديدة في الإسناد والمتن. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[١٧٨]

يشير ابن عاشور إلى أن: " هذا فريق آخر وهو فريق له ظاهر الإيمان وباطنه الكفر، مع قولهم "آمنا" دليل صريح على أن مسمى الإيمان التصديق وأن النطق بما يدل على الإيمان قد يكون كاذبا فلا يكون ذلك النطق إيمانا، والإيمان في الشرع هو الاعتقاد الجازم بثبوت ما يعلم أنه من الدين علما ضروريا بحيث يكون ثابا بدليل قطعي عند جميع أئمة الدين، فقد نقل الإيمان في الشرع إلى تصديق خاص.[١٧٩]

---

١٧٧ الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات في أصول الشريعة* للشاطبي. ت: مشهور بن حسن سلمان. مصر: دار ابن عفان. ج.١.ص.٤٠.

١٧٨ (القرآن. البقرة٢: ٨).

١٧٩ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٢٥٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وقد أفصح عنه الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**» الحديث [١٨٠]

ويقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [١٨١]، في تفسير لفظ الزوج يقول ابن عاشور :" وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَعَ إِحْدَى نِسَائِهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَدَعَاهُ، فَجَاءَ، فَقَالَ: «**يَا فُلاَنُ هَذِهِ زَوْجَتِي فُلاَنَةُ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**» [١٨٢]

وتسامح الفقهاء في إلحاق علامة التأنيث للزوج إذا أرادوا به امرأة الرجل لقصد نفي الالتباس في تقرير الأحكام في كتبهم في مثل قولهم: القول قول الزوج، أو القول قول الزوجة وهو صنيع حسن.[١٨٣]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [١٨٤] فقد نزلت في تحرج الأنصار من السعي

---

١٨٠ البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن.* باب. قول الله تعالى "إن الله عنده علم الساعة. ج. ٦. ص. ١١٥. رقم الحديث: ٤٧٧٧.

١٨١ (القرآن. البقرة ٢: ٣٥).

١٨٢ مسلم. د. ط. *صحيح مسلم.* كتاب السلام. باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به. ج. ٤ .ص ١٧١٢. رقم الحديث: ٢١٧٤.

١٨٣ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير.* ج.١. ص. ٤٢٩.

١٨٤ (القرآن. البقرة٢ : ١٥٨).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بين الصفا والمروة وسأل جمع منهم النبي صلى الله عليه وسلم هل علينا من حرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية، يقول ابن عاشور: "وقد روى مالك رحمه الله في «الموطأ» عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن أرأيت قول الله تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، فما على الرجل شيء أن لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله عن ذلك فأنزل الله: "إن الصفا والمروة" الآية [١٨٥]، وفي البخاري عن أنس كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله إن الصفا والمروة، وفيه كلام معمر المتقدم أنهم كانوا في الجاهلية لا يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما لمناة.[١٨٦]

وفي منهجية ابن عاشور في التفسير بالحديث أنه قد يذكر الراوي دون ذكر عن الآخرين، مثل ما جاء في قوله:" وفي البخاري عن أنس، وقوله: وقد أفصح عنه الحديث الصحيح عن عمر إن جبريل..."، وقوله:" مسلم» عن أنس بن مالك..." أو أنه يذكر السند والرواة كما جاء في قوله:" وقد روى مالك رحمه الله في «الموطأ» عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن..."

وفي مواضع أخرى من سورة البقرة ترى أشكالاً كثيرة لاحتجاج ابن عاشور بالنصوص النبوية، كأن يذكر مثلا: (جاء في الحديث) كما في قول «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»،

---

١٨٥ مالك، مالك بن أنس. *الموطأ* برواية يحيى بن يحيى. *كتاب الحج*. باب جامع السعي.ج. ١. ص. ٣٧٣. رقم الحديث: ٨٣٢.

١٨٦ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج٢. ص٦٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وكما في قوله:" «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»[١٨٧]. أو يذكر جزءا من الحديث دون تمامه، أو غير ذلك من الأشكال، غايته الإفادة دون الإطالة، حتى لا يمل القارئ، ولا يضمن كتابه مالا يفيد.[١٨٨]

- التفسير بأقوال الصحابة والتابعين:

التفسير بالسنة تعد المرتبة الأولى في تفسير القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأقوال الصحابة تأتي في أما المرتبة التي تلي مرتبة السنة في فهم معاني القرآن الكريم، فكلامهم في هذا له اعتبار في فهم الكتاب العزيز والصحابة:

إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداء، وشاهدوا أسباب النزول، وعلموا في أي موضع نزلت آيات الكتاب الكريم، وأسباب نزولها، وإن الصحابة أعلم الناس بمعاني الألفاظ القرآنية من العرب، ومن أعلم الناس بلغة العرب، وما يكون غريبا بالنسبة لنا لا يكون غريبا بالنسبة لهم، والألفاظ معروفة معانيها لهم، وهم الذين شاهدوا وعاينوا، وتلقوا التفسير عن النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان ما يبهم عليهم يسألون النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- عنه، ويروى عن ذي النورين عثمان -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- كان كلما تلا عليهم طائفة من الآيات تولى تفسيرها لهم، فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة، بل يعده الكثيرون من السنة، ما دام لا يمكن أن يكون

---

١٨٧ البخاري، ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب أحاديث الأنبياء، باب باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود: كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما ويفطر يوما ج.٤.ص١٦١.رقم الحديث٣٤٢٠.

١٨٨ مسلم. د. ط. *صحيح مسلم*. *كتاب الإيمان*. باب إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ. ج.١ . ص . ١١٨. رقم الحديث١٣٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

للرأي فيه مجال، والصحابة الذين ذكرهم ابن عاشور في تفسيره بشكل عام هم: أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والسيدة عائشة رضي الله عنها. [١٨٩]

غير أن الدراسة محصورة في سورة البقرة، فكانت أقوال الصحابة بما يتطلب معنى الآية فيأتي ذكرهم على حسب الغموض والحاجة إلى معنى تفسيره في الآية، فإن لم يوجد في السنة استعان برأي من عنده من الصحابة تفسيرا، فابن عاشور، يستعين بمن له رأي حول المسألة التي تتطلب التفسير والتوضيح ويكاد يذكر أبا بكر فيما يخصه من مواقف وليس تفسيرا لآيي السورة، مثل : اختلاف في الحروف التي تبدأ بها بعض السور مثل سورة البقرة، على أن تعد آيات مستقلة أو لا تعد كذلك، :"وهاته الفواتح قرآن لا محالة ولكن اختلف في أنها آيات مستقلة «فخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة "آلم غلبت الروم:". أو موقفه من قريبه مسطح حين تكلم عن السيدة عائشة بحديث الإفك: "حين حلف أبو بكر الصديق ألا ينفق على قريبه مسطح بن أثاثة لمشاركته الذين تكلموا بخبر الإفك عن عائشة رضي الله عنها." [١٩٠]

ومما أخذه عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير معنى الذكر في الآية: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [١٩١] حيث قال:" فقد قال عمر رضي الله عنه: أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه." [١٩٢]

---

١٨٩ أبو زهرة، محمد. د. ط. *المعجزة الكبرى القرآن*. بيروت: دار الفكر العربي. ص. ٣٩٩.

١٩٠ الباحثة: هذه وقائع مشهورة في السيرة النبوية والسنة عند نزول سورة الروم، وعند حدوث واقعة الإفك التي وردت في سورة النور.

١٩١(القرآن. البقرة٢ : ٤٠).

١٩٢ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج١. ص٤٥١. والقيرواني، ابن أبي زيد. د. ط. *متن الرسالة*. بيروت. دار الفكر. ص١٦١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وفي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في تفسير معنى:(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [١٩٣]، ونفي الجناح عن الذي يطوف بين الصفا والمروة لا يدل على أكثر من كونه غير منهي عنه فيصدق بالمباح والمندوب، والواجب والركن، لأن المأذون فيه يصدق بجميع المذكورات فيحتاج في إثبات حكمه إلى دليل آخر ولذلك قالت عائشة لعروة «لو كان كما تقول لقال فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما». [١٩٤]

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾. [١٩٥]

قال ابن عاشور: "وقد جاء في حديث البخاري في كتاب بدء الخلق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجر أم إسماعيل لما تركها إبراهيم بموضع مكة ومعها ابنها وهو رضيع وترك لها جرابا من تمر وسقاء فيه ماء، فلما نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا وأتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فلذلك سعي الناس بينهما ، فسمعت صوتا

---

١٩٣ (القرآن. البقرة ٢: ١٥٨).

١٩٤ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج٢. ص. ٦٢. والحديث سبق تخريجه كاملا.

١٩٥ (القرآن. البقرة ٢ : ١٥٨).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فقالت في نفسها صه ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه حتى ظهر الماء فشربت وأرضعت ولدها".[١٩٦]

وذكر قول عثمان لأبي ذر" قال عثمان لأبي ذر لما عزم على سكنى الربذة: تعهد المدينة كيلا ترتد أعرابيا" في مناسبة هذه الآية ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[١٩٧]

وفي قول الله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[١٩٨]

روى مالك في «الموطأ»: أن عائشة قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختي إنما هي عشر ليال فإن تخلج في نفسك شيء فدعه." [١٩٩] تعني أكل لحم الصيد، ويحتمل أن يكون تقريرا لما كانوا عليه في الجاهلية من تعيين أشهر الحج فهو نظير قوله:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾[٢٠٠]...وقيل: المقصود بيان وقت الحج، ولا أنْثَلِجُ له"[٢٠١]

---

١٩٦ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.٢. ص. ٥٩. والقصة مشهورة في كتب السير والتواريخ وقصص الأنبياء.

١٩٧ (القرآن. التوبة٩ : ٩٧).

١٩٨ (القرآن. البقرة٢ : ١٩٧).

١٩٩ مالك. ١٩٨٥. *الموطأ*. كتاب الحج. باب ما لا يحل للمحرم أكله من الصيد. ج.١.ص. ٣٥٤. رقم الحديث ٧٨٧.

٢٠٠ (القرآن. التوبة ٩: ٣٦).

٢٠١ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.٢. ص. ٢٣٢. والمعنى في قوله "ولا أنثلج له" أي أن ابن عاشور لا يطمئن لترجيحه.

وفي قوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢٠٢]

يورد ابن عاشور حديث البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا، جَاءَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَلاَ تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي سورة الحجرات الآية ٩ ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ لاَ تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: " يَا ابْنَ أَخِي أَعْتَرُّ بِهَذِهِ الآيَةِ وَلاَ أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَرَّ بِهَذِهِ الآيَةِ، الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى في سورة النساء الآية ٩٣: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ إِلَى آخِرِهَا "، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ في سورة الأنفال الآية ٣٩: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ كَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلًا، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إِمَّا يَقْتُلُونَهُ وَإِمَّا يُوثِقُونَهُ، حَتَّى كَثُرَ الإِسْلاَمُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ»، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يُوَافِقُهُ فِيمَا يُرِيدُ، قَالَ: «فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ، وَعُثْمَانَ؟» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: " مَا قَوْلِي فِي عَلِيٍّ، وَعُثْمَانَ؟ أَمَّا عُثْمَانُ:

فَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَفَا عَنْهُ فَكَرِهْتُمْ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ: فَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَتَنُهُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ - وَهَذِهِ ابْنَتُهُ - أَوْ بِنْتُهُ - حَيْثُ تَرَوْنَ "[٢٠٣]

---

٢٠٢ (القرآن. البقرة٢: ١٩٣).

٢٠٣ ابن عاشور، ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج.٢ ص٢٠٩. وينظر: البخاري، ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب أحاديث الأنبياء. باب {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}. ج.٦.ص٦٢. رقم الحديث ٤٦٥٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ونشرت نبذة منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير- مطبوع) ونشر في الجزائر (آثار ابن بايس) في ٤ مجلدات.[٩٥]

تأثر ابن عاشور بمفكري عصره:

لقد كَانَ للحركة الإصلاحية الَّتِي تزعمها السَّيِّد جمال الدِّين الأفغاني وتابعها تِلْمِيذه الشَّيْخ مُحَمَّد عَبده صداها الْبعيد فِي الْعَالم الإسلامي، فقد فتحت بصائر النَّاس وحركتهم عَن طَرِيق مجلة العروة الوثقى والزيارات المتتابعة للبلدان الإسلامية من قبل الشَّيْخَيْنِ جمال الدين الأفغاني وَمُحَمّد عَبده. وَفِي هَذَا النطاق تتدرج زيارتي الشَّيْخ مُحَمَّد عَبده إِلَى تونس الأولى كَانَت سنة ١٨٨٥م. وَكَانَ عمر الشَّيْخ مُحَمَّد الطَّاهِر ابْن عاشور ثَمَانِي سنوات، والأرجح أَن مترجمنا لم يتطلع إِلَى هَذِه الآراء الإصلاحية بعدُ نظراً لصِغَر سنه، أما الزِّيَارَة الثَّانِيَة لمفتي الديار المصرية فَكَانَت سنة ١٩٠٣م. وَكَانَ عمر الشَّيْخ مُحَمَّد الطَّاهِر ابْن عاشور ثَلَاث وَعشْرين سنة وَهُوَ يشغل خطة مدرس من الطَّبَقَة الثَّانِيَة وَقد نجح فِي هَذِه الخطة فِي نفس هَذِه السّنة.[٩٦]

مناصب ابن عاشور العلمية:

- لما أمتلأ ابن عاشور علماً واشتد نظره فلما أقبل على التدريس بالجامع الأعظم بدءا من سنة ١٨٩٩م. وفي سنة ١٣٢٠هـ-١٩٠٣م فاز في مناظرة التدريس من الطبقة الثانية عوضا عن الشيخ محمد النخلي ١٩٢٥م الذي ارتقى إلى الطبقة الأولى بوفاة الشيخ الصادق الشاهد، وفي سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٥م فاز في مناظرة التدريس الطبقة الأولى، وكان موضوع الدرس بيع الخيار في الفقه، وكانت خطة التدريس عوضا عن الشيخ حسين بن حسين (ت١٣٢٩هـ)؛ وكان ابن عاشور ذلك الوقت رئيس علماء المالكية، وكان

---

٩٥ الزركلي. ٢٠٠٢ . *الأعلام*. ج. ٦. ص. ٢٩٨.

٩٦ابن الخوجة. ٢٠٠٨. *شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور*. ص. ١٤٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

في القرآن في كتب التوراة والإنجيل، ربما اهتدى بمن سبقه غيره من العلماء مثل الزمخشري في كشافه، والطبري في تفسيره، والبغوي كذلك وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم من العلماء، ولكن ظل هؤلاء العلماء حذرين من الزيف في القصص، ونقل المعلومة عن تلك الإسرائيليات، وقد ذكر ابن حزم موقف المسلمين من تلك الإسرائيليات فقال:" فما نزل القرآن والسنة، عن النبيﷺ بتصديقه، صدقنا به، وما نزل النص بتكذيبه، أو ظهر كذبه كذبنا به، ومالم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه، وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً، لم نصدقه ولم نكذبه وقلنا ما أمرنا به الرسول ﷺ أن نقوله، كما قلنا في نبوة من لم تأتينا باسمه نص"[٢٠٧].

كان للعقل عند ابن عاشور أساس المنهج فيما يقبله من التفسير بالرواية أو يرفضه، فقد كان يوثق من أعلى مصادر التراث توثيقاً بما يتطابق مع فكره بعد التحقق من أصالته، وعند الرفض يقدم كل تعليلٍ مقنعاً العقول بالمحتوى الأصيل من أمهات الكتب ومصادرها. وهذه نماذج على سبيل المثال والواردة في سورة البقرة الدالة على منهج ابن عاشور في تفسير السورة بأقوال من التوراة والإنجيل:

- قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢٠٨].

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية وخصوصاً ماورد في اسم آدم:" وآدم اسم الإنسان الأول أبي البشر في لغة العرب وقيل منقول من العبرانية لأن أداما بالعبرانية بمعنى الأرض وهو قريب لأن التوراة تكلمت على خلق آدم وأطالت في أحواله فلا يبعد أن يكون اسم أبي البشر قد اشتهر عند العرب من اليهود وسماع حكاياتهم، ويجوز أن يكون هذا الاسم عرف عند العرب والعبرانيين معا من أصل اللغات السامية فاتفقت

---

٢٠٧ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. ١٣١٧. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*". مصر. المطبعة الأدبية.ج.١. ص. ٢١٦.

٢٠٨ (القرآن. البقرة٢ :٣١).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليه فروعها. وقد سمي في سفر التكوين من التوراة بهذا الاسم آدم ووقع في «دائرة المعارف العربية» أن آدم سمى نفسه إيش (أي ذا مقتنى) وترجمته إنسان أو قرء.[٢٠٩]

ولابن عاشور رأي في تسمية آدام لنفسه حيث يقول:" قلت ولعله تحريف (إيث) (آدم) كما سمي في التوراة وانتقل هذا الاسم إلى اللغات الإفرنجية من كتب الديانة المسيحية فسموه (آدام) بإشباع الدال،".

وفي الآية التالية من قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢١٠]

يقول ابن عاشور:" وقد اختلف أهل القصص في تعيين نوع هذه الشجرة فعن علي وابن مسعود وسعيد بن جبير والسدي أنها الكرمة، وعن ابن عباس والحسن وجمهور المفسرين أنها الحنطة، وعن قتادة وابن جريج ونسبه ابن جريج إلى جمع من الصحابة أنها شجرة التين. ووقع في سفر التكوين من التوراة إبهامها وعبر عنها بشجرة معرفة الخير والشر.[٢١١]

وفي قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٢١٢]

يقول ابن عاشور:" تعرضت هذه الآية لقصة من قصص بني إسرائيل ظهر فيها من قلة التوقير لنبيهم ومن الإعنات في المسألة والإلحاح فيها إما للتفصيل من الامتثال وإما لبعد أفهامهم عن مقصد الشارع

---

٢٠٩ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١. ص. ٤٠٨.

٢١٠ (القرآن. البقرة٢: ٣٥).

٢١١ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج. ١.ص. ٤٣٢.

٢١٢ (القرآن. البقرة ٢: ٦٧).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ورومهم التوقيف على ما لا قصد إليه. قيل: إن أول هذه القصة هو المذكور بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [٢١٣]. وإن قول موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ناشئاً عن قتل النفس المذكورة، وإن قول موسى قدم هنا لأن خطاب موسى عليه السلام لهم قد نشأ عنه ضرب من مذامهم في تلقي التشريع وهو الاستخفاف بالأمر حين ظنوه هزؤا والإعنات في المسألة فأريد من تقديم جزء القصة تعدد تقريعهم، هكذا ذكر صاحب «الكشاف» والموجهون لكلامه، ولا يخفى أن ما وجهوا به تقديم جزء القصة لا يقتضي إلا تفكيك القصة إلى قصتين تعنون كل واحدة منهما بقوله: " وإذ مع بقاء الترتيب، على أن المذام قد تعرف بحكايتها والتنبيه عليها بنحو قوله:﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [٢١٤].

غير أن ابن عاشور يدلي برأيه بغير الذي ذكره عن الزمخشري حيث يقول:" فالذي يظهر لي أنهما قصتان أشارت الأولى وهي المحكية هنا إلى أمر موسى إياهم بذبح بقرة وهذه هي القصة التي أشارت إليها التوراة في السفر الرابع وهو سفر التشريع الثاني (تثنية) في الإصحاح ٢١ أنه «إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله فإن أقرب القرى إلى موقع القتيل يخرج شيوخها ويخرجون عجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تنجر بالنير فيأتون بها إلى واد دائم السيلان لم يحرث ولم يزرع ويقطعون عنقها هنالك ويتقدم الكهنة من بني لاوي فيغسل شيوخ تلك القرية أيديهم على العجلة في الوادي ويقولون لم تسفك أيدينا هذا الدم ولم تبصر أعيننا سافكه فيغفر لهم الدم"؛ فيعلل ابن عاشور قائلا:" وقد أجمل القرآن ذكر القصتين لأن موضع التذكير والعبرة منهما

---

٢١٣ (القرآن. البقرة ٢: ٧٢).

٢١٤ (القرآن. البقرة ٢: ٦٧).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

و ما حدث في خلالهما لا تفصيل الوقائع فكانت القصة الأولى تشريعا سيق ذكره لما قارنه من تلقيهم الأمر بكثرة السؤال الدال على ضعف الفهم للشريعة وعلى تطلب أشياء لا ينبغي أن يظن اهتمام التشريع بها، وكانت القصة الثانية منة عليهم بآية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسولهم بينها الله لهم ليزدادوا إيمانا ولذلك ختمت بقوله: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾[٢١٥]

وفي آية أخرى وعن القرطبي ومافسره حول القصاص وماورد عنه في الإنجيل لابن عاشور رأيه في ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾[٢١٦].

يقول ابن عاشور: "قيل: إن الآية أشارت إلى ما كان في الشريعة الإسرائيلية من تعيين القصاص من قاتل العمد دون العفو ودون الدية، وهو ظاهر ما في سفر الخروج الإصحاح الثالث: «من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فأنا أجعل لك مكانا يهرب إليه وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت". وأشار إلى قول القرطبي قائلاً:" وقال القرطبي: إن حكم الإنجيل العفو مطلقا."[٢١٧]

---

٢١٥ (القرآن. البقرة ٢: ٧٣) ، وينظر: ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج١. ص. ٥٤٧.

٢١٦ (القرآن. البقرة٢: ١٧٨) وينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح. ١٩٦٤.*الجامع لأحكام القرآن*.ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. مصر. دار الكتب المصرية.ج.٢.ص٢٥٤.

٢١٧ القرطبي. ١٩٦٤. *الجامع لأحكام القرآن*. ج.٢. ص. ٢٥٤ -٢٥٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فيقول ابن عاشور مخالفاً ما قد ذهب إليه القرطبي: "والظاهر أن هذا غير ثابت في شريعة عيسى، لأنه ما حكى الله عنه إلا أنه قال: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [٢١٨] ، فلعله مما أخذه علماء المسيحية من أمره بالعفو والتسامح لكنه حكم تنزه شرائع الله عنه لإفضائه إلى انخرام نظام العالم، وشتان بين حال الجاني بالقتل في الإسلام يتوقع القصاص ويضع حياته في يد ولي دم المقتول فلا يدري أيقبل الصلح أم لا يقبل، وبين ما لو كان واثقا بأنه لا قصاص عليه فإن ذلك يجرئه على قتل عدوه وخصمه.[٢١٩]

وفي آية أخرى من سورة البقرة والتي تتحدث عن المحيض وكما جاء في قوله تعالى﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [٢٢٠]

يقول ابن عاشور: " الباعث على السؤال أن أهل يثرب قد امتزجوا باليهود واستنوا بسنتهم في كثير من الأشياء، وكان اليهود يتباعدون عن الحائض أشد التباعد بحكم التوراة ففي الإصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين «إذا كانت امرأة لها سيل دما في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه يكون نجسا، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسا سبعة أيام»، وذلك تفسيره ببعض

---

٢١٨ (القرآن. آل عمران٣: ٥٠).

٢١٩ ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. ج٢.ص. ١٤٣.

٢٢٠ (القرآن. البقرة٢: ٢٢٢).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الأقوال مما جاء في التوراة ومرة ثانية يخالف القرطبي في رأيه أو ما قد ذهب إليه في تفسيره قائلاً:" وذكر القرطبي أن النصارى لا يمتنعون من ذلك" [٢٢١]، ولا أحسب ذلك صحيحا فليس في الإنجيل ما يدل عليه"[٢٢٢] هكذا كانت استعانة ابن عاشور ببعض الأقوال من صحف التوراة والإنجيل، ما كان يلزمه إظهار بعض الحقائق التاريخية لبعض أحداث القصص والمواقف، بحيث لا تكون هذه الاقتباسات موضع خلاف أو اختلاف، ولا تمس أحكام الشريعة، أو يمس شرع الله بشيء من التحريف أو التزييف، فابن عاشور لم يكن يقلداً أحداً من العلماء ممن سبقه من المفسرين والذين استعانوا ببعض الأقوال من تلك الصحف والأسفار، يأخذ بالعرض ما يتناسب والشريعة الإسلامية ويرفض مالا يقبله العقل والمنطق، بل أن له أراء تظهر عدم قبوله لما ذهب إليه بعض المفسرين في تفاسيرهم وقد أوضحت الباحثة ذلك في مذهب القرطبي في تفسير مسألتي القصاص والحيض، فابن عاشور مدرسة لها منهجها الذي لا يقلد غيرها ولا يخرج عن نطاق الشرع والقبول العقلي والمنطقي والفقهي.[٢٢٣]

---

٢٢١ القرطبي. ١٩٦٤. *الجامع لأحكام القرآن*. ج.٣.ص. ٨١.

٢٢٢ ابن عاشور. ١٩٨٤ . *التحرير والتنوير*. ج٣. ص .٣٥٠.

[٢٢٣] ابن عاشور. ١٩٨٤. التحرير والتنوير .ج٢. ص. ١٤٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA